ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

جبهة مصر – جنوب الشام
الأيوبيون على خطى الزنكيين في مواجهة الصليبيين إلى استعادة بيت المقدس
٥٤٩ – ٥٨٣ هـ/ ١١٥٤ – ١١٨٧م

حمزة قادري
أستاذ "مؤقت" التاريخ الإسلامي الوسيط
جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥
سكيكدة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

بعدما تمكن الموحدون من الوصول إلى السلطة في المغرب الأقصى سنة (٥٤١هـ/١١٤٧م) وتوحيد الغرب الإسلامي، فكر الجهاز المسؤول في الدولة الموحدية في ضرورة إعادة هيكلة المجال الجيوسياسي للدولة إداريًا واقتصاديًا وفق تصور أيديولوجي يتماشى مع مبادئ الدعوة التومرتية التي روج لها الزعيم المذهبي للحركة الموحدية محمد بن تومرت. لذلك كان من الضروري على الجهاز الموحدي الحاكم أن يفتح قنوات الاتصال مع مختلف النخب وخاصةً الفئة المثقفة التي ستتولى مناصب المسؤولية في دولة الموحدين. في هذا السياق يأتي هذا المقال الذي يعالج موضوع النخبة الأندلسية المثقفة في علاقتها مع الخلافة الموحدية والذي يتوخى رصد العلاقات المتباينة لهذه النخبة مع النظام الموحدي، وفي الوقت ذاته تتبع مسارها حسب فترات حكم الخلفاء الأربعة الأوائل للدولة الموحدية. وهي الفترة التي تمتد من (٥٤١هـ/١١٤٧) عندما أصبحت مراكش عاصمة لدولتهم وإلى حدود هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) التي أرخت لمرحلة تراجع المد الإسلامي في الأندلس. لذلك تعتبر الفترة قيد الدرس جد مواتية لتحليل مواقف النخبة المثقفة الأندلسية في علاقتها مع النظام الموحدي وفي الوقت نفسه تتبع الأساليب التي وظفها هذا النظام من أجل استقطاب هذه النخبة مع تفسير سياقات كل حالة من خلال نماذج محددة بالاعتماد على مادة مصدرية وسيطية خاصةً منها كتب التراجم.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ١٩ يونيو ٢٠١٤
تاريخ قبول النشر: ٠٦ أكتوبر ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:
الحروب الصليبية، نورالدين محمود، صلاح الدين الأيوبي، بيت المقدس، الأيوبيون، الزنكيون

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0041883

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
حمزة قادري، "جبهة مصر – جنوب الشام: الأيوبيون على خطى الزنكيين في مواجهة الصليبيين إلى استعادة بيت المقدس (٥٤٩ – ٥٨٣ هـ/ ١١٥٤ – ١١٨٧م)".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السادس والثلاثون؛ يونيو ٢٠١٧. ص١٣٣ – ١٤١.

مُقَدِّمَةٌ

تمكن آل زنكي انطلاقًا من قاعدة حكمهم الموصل ثم حلب من تحقيق انتصارات مظفرة على الطرف الصليبي فاستعادوا العديد من المدن والقلاع التي كان قد استولى عليها جند الصليبية في حملاتهم الأولى على ديار الإسلام وبخاصة تلك الواقعة بالقرب من نفوذ حكمهم بشمال الشام والجزيرة الفراتية، فعمل قادة هذه الجبهة (جبهة الموصل) على درء خطر الصليبيين من عهد حاكمها كربوغا (٤٨٩هـ- ٤٩٥هـ/ ١٠٩٥م-١١٠١م) إلى قائدها الباسل عماد الدين زنكي بن آقسنقر قسيم الدولة (٥٢١هـ-٥٤١هـ/ ١١٢٧م- ١١٤٦م) – وهو غير آقسنقر البرسقي حاكم الموصل المتأخر- هذا الأخير الذي تمكن من تحقيق أهم انتصار لجبهة المقاومة الإسلامية باستعادته لمدينة الرها في ١٦ جمادى الآخرة ٥٣٩هـ/٢٣ ديسمبر ١١٤٤م فاستبشر لذلك المسلمون كثيرا كما أصاب الصليبيين بخيبة أمل كبيرة.

استمرت جهود هذه الجبهة بضمها مدينة حلب في (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) على عهد عماد الدين، إضافة إلى تحقيق الوحدة التي طال انتظارها مع دمشق (٥٤٩هـ/١١٥٤م) على عهد نورالدين محمود،

فتشكلت بشمال الشام وبلاد الجزيرة جبهة مقاومة تمكنت من إرباك الصليبيين وحققت على حسابهم مكاسب عدة، غير أن هذه الجهود كانت لابد من استكمالها بضم الجهة الجنوبية (جنوب بلاد الشام ومصر) لحصر الصليبيين على الساحل الشامي وتطويقهم بغية إخراجهم نهائيا عن أرض الإسلام، فهذه الجبهة التي ظلت تحت السيطرة الفاطمية منذ قدوم الحملات الصليبية قد ساهمت في كثير من الأحيان في إضعاف القوى الإسلامية بتحالفاتها مع الصليبيين ونظرتها الضيقة للأحداث وتركيز اهتمامها على فرض معتقدها (الشيعي) على المسلمين فكانت جهودها خلال تلك الفترة من الصراع مقتصرة على رد ما يهدد مناطق نفوذها دون العمل على تنسيق الجهود مع باقي القوى الإسلامية في رد خطر الصليبيين.

أدرك نورالدين محمود ومن بعده بنو أيوب بقيادة صلاح الدين أن أي جهد يمكن بذله في المواجهة مع الصليبيين لا يمكن أن يكون ذا منفعة تذكر في حال بقاء جنوب الشام ومصر تحت سلطة الفاطميين فكان لزاما تنفيذ إستراتيجية عماد الدين زنكي القائمة على تقوية الجبهة الداخلية بإنهاء الانقسام وجمع القوى الإسلامية المتناثرة هنا وهناك تحت سلطة واحدة، فكان له ذلك في (٥٦٤هـ/١١٦٩م) بتولي صلاح الدين حكم مصر وضمها مع جنوب الشام لسلطة جبهة شمال الشام والجزيرة، ليبدأ بذلك فصل جديد من فصول المقاومة الإسلامية للعدوان الصليبي تحت قيادة جديدة ومن مركز سلطة جديد، مساره ونتائج أحداثه أردناه في هذا المقال إلى غاية الحدث البارز في هذا الفصل وهو استعادة رمز الإسلام وأهم حواضره بيت المقدس (٥٨٣/ ١١٨٧م).

١- ضم مصر إلى جبهة المقاومة الإسلامية في شمال الشام والجزيرة (٥٤٩-٥٦٤هـ/١١٥٤ -١١٦٨م)

منذ تحقيق نورالدين محمود للوحدة مع دمشق وضمان وجود جبهة إسلامية في شمال الشام والجزيرة، رأى أنه من الضروري ربط هذه الجبهة بأخرى في الجنوب حتّى يكتمل الطوق البري على الصليبيين وحصرهم في الساحل الشامي، بُغية تقليص نفوذهم وإخراجهم بعد ذلك من ديار المسلمين. على أنَّ رغبة نورالدين تلك، اصطدمت بواقع مصري تحت سلطة فاطمية، لم يبرز لها أثر في حركة المقاومة الإسلامية، بقدر ما كان لها دور في إضعاف المسلمين بالتحالف ضد أعدائهم في كثير من المواضع، فقد عرفت الأوضاع التي ميزت مصر في العهد الفاطمي سواء في علاقاتها مع القوى الإسلامية المجاورة لها، أو على مستوى البلاط الفاطمي نفسه حالة من السوء لم تكن بأي حال من الأحوال لتُمكِّنها من المساهمة في حركة المقاومة الإسلامية.

ففي الفترة التي سبقت ضمّ مصر إلى الجبهة الإسلامية بفضل نورالدين محمود، وقيادة صلاح الدين لحركة المقاومة فيها، قد عرف البلاط الفاطمي أقصى مراحل الصراع بين الوزراء الفاطميين، في حين لم يكن للخليفة الفاطمي معهم حكم على حد تعبير ابن الأثير،[١] وهو ما فتح باب الصراع بين الصليبيين ونورالدين للسيطرة عليها لتدعيم مناطق نفوذهما،[٢] فقد حدث في رمضان ٥٥٨هـ/أوت ١١٦٣م أن سار أبو الأشبال ضرغام بن عامر إلى القاهرة متحديًا الوزير شاور السَّعدي، الذي كان يتولَّى الصعيد قبل هزمه للزريك بن الصالح طلائع وتولِّي الوزارة في البلاط الفاطمي.

تمكَّن ضرغام من إلحاق الهزيمة بشاور، مما اضطر هذا الأخير إلى الاستنجاد بنور الدين في دمشق[٣] وطلب منه إرسال عساكر معه إلى مصر ليعيده إلى منصبه، مقابل الاعتراف بسيادته على المناطق الواقعة على التخوم، وأن يؤدِّي له جزية سنوية مقدارها ثلث خراج مصر.[٤] وجد نورالدين في ذلك العرض فرصةً لضمِّ مصر إلى جبهة المقاومة الإسلامية، وتحقيق بعض النقاط الإيجابية في صراعه مع الصليبيين، فهدَف من خلال ضمِّها إلى التمكين للسنة على حساب الشيعة وبذلك إنهاء الانقسام المذهبي الذي كان مصدراً من مصادر الفرقة في العالم الإسلامي، كما أنَّ استيلاءه على مصر سيُمكِّنه من استخدام أسطولها البحري ضد السواحل الشامية الخاضعة للصليبيين، الأمر الذي يترتب عليه قطع خطوط مواصلاتهم مع أوروبا الغربية، إضافة إلى خلق طريق تجاري، تخرج منه تجارة دمشق، بحيث لا يمرُّ عبر أراضي الصليبيين.[٥]

أرسل نور الدين في (جمادى الثانية ٥٥٩هـ/ أفريل ١١٦٤م)، أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين بن أيوب على رأس جيش إلى مصر، تمكَّن من هزم ضرغام وأعاد منافسه شاور إلى منصبه،[٦] إلاَّ أنَّ هذا الأخير تنكَّر لوعوده التي قطعها على نورالدين، حيث يحدثنا عن ذلك ابن الأثير فيقول:" وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة، وغدر به شاور لما عاد إلى منصبه، وعاد عن ما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية، ولأسد الدين أيضًا، وأرسل إليه يأمره بالعودة إلى الشام..."،[٧] بل أنَّه توجه إلى الصليبيين يستصرخهم على أسد الدين شيركوه وابن أخيه، وهي الفرصة التي طالما انتظرها الصليبيون لمدِّ نفوذهم إلى الديار المصرية، فيقول عن ذلك أبو شامة:" فأرسل شاور إلى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نورالدين إن ملك مصر، وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن ملكها"[٨] فقاد أملريك عموري ملك بيت المقدس رجاله إلى الديار المصرية في رمضان (٥٥٩هـ/ أوت ١١٦٤م)،[٩] مما جعل قوة نورالدين والقوة الصليبية المدعمة من الفاطميين في مواجهة مباشرة حول ضمِّ مصر.

فور وصول عموري الأول إلى مصر، اتصل بشاور واتفقا على حصار شيركوه في بلبيس[١٠] – التي اتخذها قاعدة له بعد غدر شاور- وبعد حصارٍ دام ثلاثة شهور، دافع خلالها شيركوه عن بلبيس، تَمَّ الاتفاق بين شيركوه وعموري في ذي الحجة من العام نفسه/ أكتوبر ١١٦٤م على مغادرة مصر، بعد أنِ اتضح لشيركوه أنَّ الموقف لمْ يعُد في صالحه، لأنَّ المؤن المتبقية لديه أوشكت على النفاذ، فضلاً عن تفوق الجيوش الصليبية- الفاطمية في العدد، أماً عموري الأول فقد حرص على الانسحاب من مصر لأنَّ نورالدين انتهز فرصة تغيبه في مصر وشدَّد هجماته على المعاقل الصليبية بالشام وخاصة قلعة حارم، لإرغامه على رفع الحصار عن شيركوه.[١١]

توالت أحداث ذلك الصراع بين نورالدين من جهة والصليبيين والفاطميين من جهة أخرى على أرض مصر، حيث عاود نورالدين تسيير حملة ثانية على الإقليم في ربيع الأول (٥٦٢هـ/ جانفي ١١٦٢م)، أين عاود شاور الاتصال بالصليبيين لردِّ الحملة، فكانت نتيجة أحداثها، انسحاب كل من عموري الأول وشيركوه عن مصر للمرة الثانية، على أنَّ مواصلة شاور الاستعانة بالصليبيين في رد حملات نورالدين قد أبرق لهم مدى ضعف الجبهة المصرية، وصاروا يتطلعون للاستيلاء عليها بدل مساعدة الفاطميين.[١٢]

كان لعزم ملك بيت المقدس على ضمِّ مصر إلى الممتلكات الصليبية أن دفعه إلى المسير صوب مصر على رأس حملة كبيرة من عسقلان في (محرم ٥٦٤هـ/ أكتوبر١١٦٨م)، فاتجه صوب بلبيس الَّتي حاصرها ثلاثة أيام، ثمَّ اقتحمها، وأخذ في نهب أهلها وسبيهم، وتخريب بيوتهم وقتل الكثير منه بصورة بشعة،[١٣] ثمَّ واصل زحفه إلى القاهرة بغية الاستيلاء عليها، فما كان للخليفة العاضد أمام هذه الأخطار المحدقة بعرش الدولة الفاطمية، أن أرسل كتابًا إلى نورالدين يستصرخه ويستنجد به من الغزو الصليبي، فأجابه إلى ذلك وسيَّر حملة ثالثة إلى مصر بقيادة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين في سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، غير أنَّ وصول قوات نورالدين إلى القاهرة نجدةً لها قد كان بعد انسحاب القوات الصليبية عنها بستة أيام وعودتها إلى بيت المقدس.[١٤]

والمهم في كل هذا أن قوات نورالدين بقيادة أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين قد عزما على تخليص مصر والإسلام من شاور[١٥] الذي يقول فيه ابن تغري بردي:" شاور فساد العباد والبلاد وقد كاتب الفرنج، وهو يكون سبب هلاك الإسلام"،[١٦] وفي (ربيع الآخر ٥٦٤هـ/ جانفي ١١٦٩م) ذهب شاور إلى معسكر أسد الدين، وهناك هاجمه صلاح الدين وسجنه في خيمة، ثمَّ قتل بطلب من الخليفة العاضد.[١٧]

ولَّى الخليفة الفاطمي أسد الدين شيركوه الوزارة بعد مقتل شاور، فكانت بذلك أولى الخطوات في تأسيس الدولة الأيوبية ومعها إكمال بناء الجبهة الإسلامية في الجنوب من بلاد الشام، غير أنَّ أسد الدين توفي بعد فترة وجيزة من توليه المنصب،[١٨] ما دفع بالخليفة العاضد لأخذ العهد بالوزارة لصلاح الدين ولقبه بالملك الناصر وكان ذلك في (جمادى الآخرة ٥٦٤هـ/ مارس ١١٦٩م).[١٩]

وبتولي صلاح الدين الوزارة في مصر واستئثاره بالسلطة فيها، عزم قائده نورالدين على إنهاء الحكم الفاطمي عليها، فأمره بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد وإقامتها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٦٦هـ- ٥٧٥هـ/ ١١٧٠م- ١١٨٠م) تحقيقًا لوحدة العقيدة الإسلامية، وقد اعتذر صلاح الدين لقائده خوفا من قيام المصريين بثورة ضدَّه، لكن نورالدين عاد وألزمه بذلك، حيث يقول في هذا الصدد ابن واصل:" كان العادل نورالدين لما تحقق ضعف الدولة المصرية، وأنه لم يبق لهم منعة، كتب إلى صلاح الدين يأمره أن يقطع خطبة العاضد، ويخطب للخليفة العباسي، فاعتذر صلاح الدين بن أيوب بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة لذلك، لميلهم إلى العلوية، فلم يصغ نورالدين إلى قوله، وأرسل إليه يلزمه إلزامًا لا فسحة فيه..."[٢٠] فأمر صلاح الدين الخطباء في القاهرة والمدن المصرية بقطع الخطبة على الخليفة العاضد الفاطمي في أول جمعة من (محرم ٥٦٧هـ/ ١٠ سبتمبر ١١٧١م)، وإقامتها للخليفة العباسي، ففعلوا ذلك، ولم يجد صلاح الدين صعوبة في تغير تبعية مصر من الفاطميين إلى العباسيين، لينتهي بذلك عهد الدولة الفاطمية التي عمرت قرنين وسبعين عاما من الزمن.

٢- صلاح الدين وإعادة بناء جبهة المقاومة الإسلامية (٥٦٤ - ٥٨٣هـ/ ١١٦٩ - ١١٨٧م)

لم يكن من اليسير على صلاح الدين خلال السنوات الأولى الَّتي تولَّى فيها حكم مصر، تأسيس جبهة مقاومة إسلامية ضدَّ الوجود الصليبي في الساحل الشامي، فقد واجه العديد من العقبات التي أبطأت من دخوله في مواجهة الصليبيين بعزيمة وجدْ بغية إخراجهم من الممتلكات التي استحوذوا عليها في حملتهم الصليبية الأولى، فقد تجلت أولى تلك العقبات، عقب إسقاطه للخلافة الفاطمية، حيث بقي من أنصارها في مصر من أرادوا إعادة إقامتها من جديد، فحدثت مؤامرتين من هؤلاء، كانت الأولى سنة تولي صلاح الدين الحكم في مصر سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م)، وأمَّا الثانية فكانت سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)،[٢١] وقد سعى أنصار الفاطمية إلى دفع صلاح الدين لمواجهة الصليبيين، الذين لم يتوانوا في المساهمة في هذين المؤامرتين لإبعاد الخطر الذي كان يهدد كياناتهم في بلاد الشام، حيث يحدثنا ابن الأثير عن رد فعل الصليبيين بعد تملُّك أسد الدين شيركوه لمصر فيقول: "فكان إفرنج الساحل لمَّا ملك أسد الدين مصر قد خافوا وأيقنوا بالهلاك"،[٢٢] وعلى هذا فقد سعى أنصار الفاطمية إلى شغل صلاح

الدين بمواجهة الصليبيين، حتَّى يتسنَّى لهم إعادة سلطة الفاطميين على مصر.[٢٣]

إضافة إلى هذه العقبة فقد حدث أن ساءت علاقات صلاح الدين بقائده نور الدين، ومرَّت بفترة من الفتور تحولت فيما بعد إلى شبه عداء بينهما، حيث ترجع بداية هذه الوحشة بين الاثنين إلى (صفر سنة ٥٦٧هـ/ أكتوبر ١١٧١م)، وذلك عندما دعا نورالدين نائبه صلاح الدين وطلب منه المسير بجيوشه إلى حصن الشوبك[٢٤] بغية حصاره والاستيلاء عليه، فقام صلاح الدين بما أمره به سيده، وضيَّق الحصار على الحصن حتَّى كاد أن يفتحه، إلا أنَّه لما علم بقدوم نور الدين رفع الحصار ورجع إلى مصر، ثمَّ أرسل إليه كتابًا يُبيِّن له الموقف في مصر وضرورة العودة حتى لا تضطرب البلاد ويغتنم أنصار الفاطميين غيابه عنها، للاستيلاء على السلطة، كما وتحجَّج بمرض والده نجم الدين، وهو الأمر الذي أغضب نور الدين ودفعه إلى التفكير في إبعاد صلاح الدين عن مصر.[٢٥]

وقف صلاح الدين أمام عزم قائده نور الدين بِحيرةٍ كبيرة وأحسَّ بأن علاقته معه تسير إلى نفقٍ مظلم، فأخذ يستشير خواصه وأقاربه لإيجاد وسيلة تُثني نور الدين عن القدوم إلى مصر، فأشار عليه ابن أخيه تقي الدين عمر بمواجهته عسكريا، غير أنَّ والده نجم الدين أقنعه بضرورة أن يكتب إلى نور الدين كتابًا يُظْهر له فيه الولاء والطاعة، ويُحذره من مغبة مواجهة نور الدين لأنَّ ظهوره في مصر سيكون كافيًا لتخلي قوات صلاح الدين عنه، وهذا ما أدركه صلاح الدين ووعاه فعلا فأجاب والده لذلك.[٢٦]

ظلَّت العلاقة بين القائدين متوترة، رغم أنهما اشتركا في العديد من المعارك ضد الصليبيين جنبًا إلى جنب، كمحاولتهما فتح حصن الكرك جنوب البحر الميت سنة (٥٦٨هـ/١١٧٣م)، والدليل على أن العلاقة بينهما لم تزل على حالها من الفتور أن صلاح الدين فكر في مناطق يلتجأ إليها في حالة إقدام قائده نور الدين على إخراجه من مصر، فعمل على فتح النوبة في سنة (٥٦٨/ ١١٧٢م)، وكذا اليمن والحجاز في السنة الموالية،[٢٧] وفي كلام ابن الأثير عن هذا الأمر تأكيد لذلك إذ يقول: "وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون أن نور الدين كان على عزم الدخول إلى مصر وأخذها منهم، فاستقر الرأي بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن، حتى إذا وصل إليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد، فإن قووا على منعه أقاموا بمصر، وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا البلاد التي فتحوها".[٢٨]

أخذت تلك العقبات التي وقفت في وجه صلاح الدين تنزاح الواحدة تلوى الأخرى، ففي رمضان (٥٦٩هـ/ أفريل١١٧٤م) نجح صلاح الدين في استئصال شأفة بقايا أنصار الدولة الفاطمية المتآمرين مع الصليبيين، بعد أن أمسك بخيوط المؤامرة واطلع على تفاصيلها، فقبض على زعماء المتآمرين وأمر بشنقهم جميعًا،

وأمَّا العقبة الثانية فقد زالت بوفاة نور الدين وهو يهيئ نفسه للسير إلى مصر وانتزاعها من صلاح الدين، فكان ذلك في (١١ شوال٥٦٩هـ/ ١٥ ماي ١١٧٤م)،[٢٩] لتنتهي بذلك حياة رجل قضى أزيد من ثمانية وعشرين عامًا في جهاد الصليبيين، والنضال من أجل بناء الجبهة الإسلامية.[٣٠]

ويجدر بنا الإشارة إلى؛ أن خلافات صلاح الدين وقائده نور الدين، قد أخذت طابع السرية والتكتم، وهذا لبعد نظر الرجلين وإدراكهما بأن شيوع أي خلاف يقع بينهما سيكون له آثار سلبية على الجبهة الإسلامية الَّتي عمل عماد الدين جاهدًا على إقامتها في مواجهة الوجود الصليبي، كما ويتوجب علينا كذلك أن نوضِّح المكامن الخفية وراء صراع القائدين الإسلاميين، فنقول: بأن نور الدين كان يرى في صلاح الدين مجرد نائب عنه في مصر، وأن دور مصر لا يعدوا أن يكون ولاية من الولايات التي تمدُّه بنفقات الحرب والقوات البشرية، وأنَّ بلاد الشام هي ميدان الصراع الحقيقي بين المسلمين والصليبيين، إلاَّ أنَّ طموح صلاح الدين وهدفه لم يكن ليقف على حدود النيابة عن نور الدين في مصر، بل أنَّ تطلعاته تسمو حد إقامة دولة تحمل اسم أسرته، وتلعب دورًا مستقلاً عن الشام في مواجهة الصليبيين، ونظرًا لهذا التباين في مواقف كلا القائدين اتجاه مصر أخذت العلاقات بينهما تسير نحو المجهول، حتَّى كانت وفاة نور الدين التي أطفأت نيران صراع بدأ يشب في الأفق كان سيأتي على الجبهة الإسلامية ككل.

وبوفاة نور الدين دخلت منطقة حكمه في شمال الشام والجزيرة دائرة من الصراعات بين خلفائه، كان لزامًا على صلاح الدين التدخل لإنهائها، حفاظًا على وحدة المسلمين، ولعدم تمكين الصليبيين من الإفادة من هذه الصراعات، فقد تولَّى الحكم بعد نور الدين في حلب ودمشق ابنه الصالح إسماعيل (٥٦٠هـ- ٥٧٦هـ/ ١١٧٤م- ١١٨١م) وكان غلامًا في الحادية عشر من عمره،[٣١] فتولَّى تدبير مُلكه الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدَّم، وقد بعث صلاح الدين إلى الصالح إسماعيل بكتاب يهنئه فيه بتوليته ويعزيه في موت والده نور الدين،[٣٢] ويعلن طاعته له وأنَّ الخطبة ستكون باسمه، غير أنَّ بعض كبار القواد قد طمعوا في الصالح إسماعيل، وحاول كل منهم أن يسيطر عليه، حتَّى يكون صاحب النفوذ والكلمة، ولذلك فقد ظهرت أمام صلاح الدين عقبةٌ جديدة لم يكن لينتظرها قبلاً.

برز صراع بين كبار قواد نور الدين أدَّى إلى قيام مركزان متصارعان أحدهما في دمشق بقيادة ابن المقدم الذي تولَّى تربية الصالح إسماعيل، أما الثاني فكان في حلب ويترأسه شمس الدين علي بن الداية أحد أكابر الأمراء النورية،[٣٣] وكانا كلاهما لا يثقان في صلاح الدين، ويتوجَّسان خيفة من تطلعاته، فكانت هوة الخلاف بينهم كبيرة، وليس هذا فحسب بل إن سيف الدين غازي بن عماد الدين صاحب الموصل عمل على ضمِّ العديد من البلدان

في بلاد الجزيرة لنفوذه، وأنَّه سعى لضم حلب لتكون كما كانت في عهد والده عماد الدين، والأخطر من كل هذا أن مدبر ملك الصالح إسماعيل (الأمير ابن المقدم) قد ارتمى في أحضان الصليبيين وعقد معهم هدنة بغية تحصين ملكه.[٣٤]

وعلى إثر هذه الأوضاع التي آلت إليها بلاد الشام بعد وفاة نور الدين، فقد كانت الجبهة الإسلامية التي أقامها عماد الدين وابنه نور الدين، والتي أحدثت في نفوس الصليبيين رُعبًا رأوا من خلاله نهاية وجودهم في بلاد المسلمين، قاب قوسين أو أدنى من الانهيار. كان على صلاح الدين أن لا يقف ساكنًا أمام تدهور أوضاع الشام لعلمه بأنَّ الصليبيين سيستغلون الأوضاع فيها ويعاودوا استرجاع ما كان قد أخذه منهم عماد الدين ونور الدين، لهذا فقد سعى جاهدًا إلى إنهاء ذلك الصراع وتوحيد الجبهة الإسلامية من النيل إلى الفرات، رغم ما كان يتعرض له في الجبهة المصرية من أخطار سواء من الصليبيين في الشمال أم في الجنوب من قبل المتمردين على حكمه.[٣٥]

وعلى أية حال؛ فقد كلَّلت جهود صلاح الدين في مواجهته لتلك الأخطار التي تربصت بالجبهة المصرية، كما أنهى ذلك الصراع الذي شهدته جبهة الشام والجزيرة بين كبار أمراء نور الدين، وصارت خاضعة لسيطرته، ليُكمل بذلك الطوق البري حول الكيانات الصليبية في الساحل الشامي، الذي طالما سعى أسلافه إلى تحقيقه،[٣٦] فحقق بذلك آماله الَّتي كان يعبر عنها بقوله: "لمَّا يسر الله لي الديار المصرية، علمت أنَّه أراد فتح الساحل، لأنَّه أوقع ذلك في نفسي"،[٣٧] فأنفق صلاح الدين في سبيل تحقيق إعادة بناء الجبهة الإسلامية في مواجهة الوجود الصليبي على أرض المسلمين أكثر من عشر سنوات، وجه بعدها جهوده لمحاربة الصليبيين واستعادة ممتلكات المسلمين منهم.

٣- صلاح الدين في مواجهة الصليبيين: من حطين إلى استرداد بيت المقدس (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)

على الرغم من اشتغال صلاح الدين لأزيد من عقد وأربع سنوات في سبيل إعادة بناء الجبهة الإسلامية التي تعرضت للكثير من العقبات سواء في عاصمة حكمه مصر أو في بلاد الشام والجزيرة، على أنَّ ذلك لم يثنه عن القيام بواجبه في تخليص أراضي المسلمين من السيطرة الصليبية خلال تلك الفترة، كمَّا وأنه يمكننا القول: بأن أحداث تلك السنوات التي قضاها صلاح الدين في سبيل إعادة بناء الجبهة الإسلامية كانت عاملاً مهمًا وحاسما فيما تبقى من مرحلة الصراع الصليبي-الإسلامي بعد ذلك.

فموازين القوى بين الصليبيين والمسلمين في تلك الفترة كانت متعادلة إلى حدٍ ما، نظرًا لما شهدته كلتا الجبهتين من إضرابات داخلية،[٣٨] فانعكس ذلك على الصراع بينهما، فتارة يكون النصر للصليبيين كما حدث في موقعة الرملة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)،[٣٩] وتارةً يكون النصر حليف المسلمين كما وقع في معركة بانياس[٤٠] (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، الَّتي قتل فيها هنفري، أحد الأمراء الصليبيين الأشداء،[٤١] وكذا في معركة مرج عيون (٥٧٥هـ/١١٧٩م)،[٤٢] وكانت النتيجة في بعضها دون منتصر، كما وقع في (ربيع الأول ٥٧٨هـ/ جويلية ١١٨٢م)، حين التقت القوتين الإسلامية والصليبية على مشارف قلعة كوكب الهوى، أين دارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت دون نتيجة حاسمة لكليهما، وقد عرفت تلك الفترة نوعًا من الهدوء النسبي خلال بعض السنوات سببه ما كان يجري بين صلاح الدين والصليبيين من اتفاقيات هدنة غالبًا ما يتم نقضها من الطرف الصليبي.[٤٣]

فقد حدث في (٥٨٢هـ/ ١١٨٧م) أن نقض البرنس رينودي شاتيون صاحب الكرك الهدنة مع صلاح الدين، وقام بالاستيلاء على قافلة كبيرة كانت متجهة من القاهرة إلى دمشق، ولم يجب إلى طلب صلاح الدين بإطلاق سراح أسرى القافلة وتقديم تعويضات لهم،[٤٤] فما كان أمام صلاح الدين إلى إعلان القتال ضد الصليبيين، فأرسل إلى القوات الإسلامية في كل من حلب ودمشق والموصل والجزيرة، إضافةً إلى القوات المصرية، فتمكَّنت من إحراز العديد من الانتصارات، كانت أولاها عند صفورية في أواخر (صفر ٥٨٣هـ/ مايو١١٨٧م)، ثم تلتها مدينة طبرية[٤٥] - وكانت صاحبتها إيشف زوجة ريموند الثالث كونت طرابلس- والَّتي سقطت في أيدي القوات الإسلامية في (١٧ ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ ٢٦ جوان١١٨٧م)،[٤٦] لتنذر تلك الانتصارات من الجانب الإسلامي بقرب مواجهة عسكرية ضخمة يشارك فيها من الجانبين غالبية الجيوش.

كان من نتيجة سقوط طبرية دون قلعتها، ووصول أنباء ذلك إلى الصليبيين، أن جهزوا جيوشهم وزحفوا بها لملاقاة القوات الإسلامية، حيث التقى الجمعان عند حطين، وبعد قتال عنيف بين الطرفين انتزع المسلمون فيه النصر على أعدائهم، وكان ذلك يوم السبت (٢٥ من ربيع الثاني ٥٨٣/ ٠٤ جويلية ١١٨٧م)،[٤٧] وقد قتل وأسر في هذه الموقعة الكثير من الصليبيين حتى أن ابن الأثير يذكر عن نتائجها بقوله: "وكثر القتل والأسر فيهم، فكان مَنْ يرى القتلى لا يظن أنَّ هناك أسرى، ومَنْ عاين الأسرى لا يظن أنَّ هناك قتلى"،[٤٨] حتىَّ أنَّه وقع من جملة الأسرى الصليبيين، صاحب الكرك أرناط وملك بيت المقدس جاي دي لوزجنان وأخوه والعديد من الفرسان.[٤٩]

لا شك في أن موقعة حطين كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الصراع الإسلامي- الصليبي، فبانتصار المسلمين فيها، صارت المدن الصليبية كلها مفتوحة أمام صلاح الدين وقواته نظرًا لفقدان الطرف الصليبي فرسانه ومقاتليه، ممَّا جعل مدنه خاليةً ممن يدافعون عنها،[٥٠] فكان لانتصار حطين في مستهل (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) بداية لانتصارات عديدة خلال هذه العام، تمكَّن خلالها صلاح الدين من فتح الكثير من المدن الساحلية والقلاع،[٥١] أثمرت في النهاية على استرداد المدينة المقدسة من الصليبيين بعد إحدى وتسعين سنة من تملُّكها خلال الحملة الصليبية الأولى (٤٩١هـ/ ١٠٩٩م).

فقد هدى تفكير صلاح الدين إلى توجيه جهود المقاومة صوب المدن الساحلية بغية استردادها، لأهمية ذلك في تضيق دائرة الحصار الإسلامي على الساحل الشامي الواقع تحت السيطرة الصليبية، فكان قبل ذلك قد توجه صوب قلعة طبرية التي استلمها من صاحبتها الكونتسية، حيث طلبت الأمان لها ولأولادها وأصحابها ومالها مقابل تسليمها له، فأجابها صلاح الدين إلى ذلك،[٥٢] ثُمَّ توجه بعد ذلك لإخضاع مدن الساحل ففتح منها عكَّا،[٥٣] والناصرة،[٥٤] وقيسارية[٥٥] وحيفا ليأخذ بعدها الطريق نحو الداخل حيث تمكَّن من استرداد صفورية،[٥٦] ومعليا،[٥٧] والفولة،[٥٨] وسبسطية،[٥٩] ونابلس،[٦٠][٦١] ولم يواجه صلاح الدين أية صعوبات تذكر في استيلائه على تلك الجهة نظرا لخلوها من المدافعين عنها، حيث كان غالبية الجيش الميداني الصليبي قد قضي عليه في حطين.

إن اشتغال صلاح الدين بإخضاع الساحل الشامي لم يكن لينسيه ضرورة السيطرة على المدن والحصون الواقعة في داخل البلاد الصليبية، فقد كان يوجه أخاه الملك العادل وابن أخيه عمر تقي الدين للاستيلاء عليها، حيث نجح في ضم تبنين[٦٢] ومجدليابه،[٦٣] كما واصل مسيرة إخضاع مدن الساحل فاستولى على يافا،[٦٤] وصيدا، وبيروت، وجبيل، وعسقلان،[٦٥] وغزة،[٦٦] والدَّاروم،... وغيرها من مدن الجنوب الشامي.[٦٧]

وأمام هذه الانتصارات التي حققها صلاح الدين على الصليبيين، باستيلائه على أغلب مدن الساحل الشامي- ماعدا صور-، صوَّب جهوده لاستعادة بيت المقدس وإرجاعها مدينة إسلامية كما كانت قبل استيلاء الصليبيين عليها، حيث أرسل وهو بعسقلان أوامره إلى الأسطول الإسلامي بمصر للقضاء على أي سفينة صليبية في السواحل الجنوبية، كما زحف هو بقواته إلى بيت المقدس فوصلها في (رجب ٥٨٣هـ/ سبتمبر١١٨٧م)، أين وجد الصليبيين وقد أعدُّوا أنفسهم للحرب، مستفيدين من الفرصة التي أتاحها لهم صلاح الدين بعدم مهاجمة المدينة بعد موقعة حطين، فحصَّنوا المدينة ونصبوا المجانيق على أسوارها، غير أن تصميم صلاح الدين على تملُّكها واستعادتها منهم دفعه إلى الأمر بالمهاجمة من الجهة الشمالية،[٦٨] فدار على إثرها قتال عنيف بين القوتين يصفه لنا ابن الأثير بقوله: "وقوتلوا أشدَّ قتال رآه أحد من النَّاس، كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينًا وحتمًا واجبًا فلا يحتاج فيه إلى باعث سلطاني، بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون، ويزجرون ولا يَنزجرون".[٦٩]

وبعد تلك الجولة من القتال العنيف، أدرك الصليبيون أنَّهم على مشارف الهلاك، فأخلدوا إلى المفاوضة وطلبوا الأمان من صلاح الدين مقابل تسليم المدينة، غير أنَّه رفض العرض قائلاً: "لا أفعل إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعة مائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها"[٧٠] فما كان من باليان بارزان صاحب الرملة وطرابلس- وقد كان ببيت المقدس عند حصارها – أن هدد بقتل أسرى المسلمين، وحرق المدينة وتخريب قبة الصخرة، وإتلاف ممتلكات الصليبيين وأموالهم، ومواصلة الحرب ضد المسلمين حتى آخر نفس، وحينها استشار صلاح الدين رجاله فأجابوه إلى الأمان والمصالحة وتسلم المدينة دون تخريب.[٧١]

وبهذا استقرت شروط تسليم المدينة بالأمان لصلاح الدين على أن يفتدي الرجل لنفسه مقابل عشرة دنانير، أما المرأة فتفتدي نفسها بخمسة دنانير، وعلى كل ولد أو بنت دينارين،[٧٢] ومنح الجميع مهلة أربعين يوما، فمن أدى الضريبة حينها سمح له بالخروج من المدينة آمنا بماله، ومن لم يؤدها أخذ مملوكًا، كما سمح للرعايا المسيحيين من الشاميين واليونانيين من البقاء في القدس كرعايا.

كان لهذا النصر الذي حققه المسلمون على الصليبيين باسترداد بيت المقدس، من أجلِّ الأعمال التي قام بها قادة المقاومة الإسلامية، إذ تكمن أهمية ذلك في أن الصليبين قد فقدوا أهم إقليم استولوا عليه في حملتهم الصليبية الأولى، مما كان له أثر بالغ على باقي الصليبيين في الإمارات الأخرى، كما وأن هذا النصر كان له وقع جليل في نفوس المسلمين الذين استبشروا له، وأثنوا على صلاح الدين، لما للمدينة المقدسة من مكان في قلوبهم.

وعلى أية حال؛ فإن حركة المقاومة الإسلامية التي زرع نواتها حكام مدينة الموصل في بلاد الجزيرة، ثم سقاها حكام حلب ودمشق في الشام، قد تكفَّل بقطف أحسن ثمارها صلاح الدين من إقليم مصر، لتكون الفترة الممتدة من حكم عماد الدين زنكي (٥٢١هـ- ٥٤١هـ/ ١١٢٧م- ١١٤٦م) مرورًا بفترة حكم نور الدين (٥٤١هـ- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦م- ١١٧٤م) وإلى استرداد بيت المقدس على يد صلاح الدين (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) من أهم فترات الصراع الإسلامي ضد الوجود الصليبي على أراضي الإسلام.

خَاتِمَةٌ

خط صلاح الدين لمسيرة حياته حروفًا من ذهب بعد أن تمكن من قطف ثمار ما قد زرعه أسلافه من بذور للمقاومة فتمكن من استكمال طوق الصد الاسلامي بضمه مصر وجنوب الشام وحصر القوات الصليبية على الساحل الشامي، فكانت سنين حكمه مليئة بالانتصارات استعاد من خلالها العديد من المدن والقلاع والحصون، فكانت هذه الجبهة وقائدها خير خلف لخير سلف، بل أن ما حققه صلاح الدين على مستوى جبهة جنوب الشام- مصر كان لها أثر معنوي بالغ لطرفي الصراع لما تحويه مدينة بيت المقدس من قدسية واعتبارها محور تلك الحروب حين اصطباغها بالمظهر الديني، فأرهبت تلك المكاسب المحققة جموع الصليبيين، ومنحت للمسلمين دفعًا مضاعفًا لمواصلة المقاومة في سبيل إجلاء الأعداء عن أراضيهم.

الملاحق:

الخريطة رقم (١)

خريطة توضح الإمارات الصليبية ببلاد الشام والجزيرة

نقلاً عن: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر العربي، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢، ص٨٦.

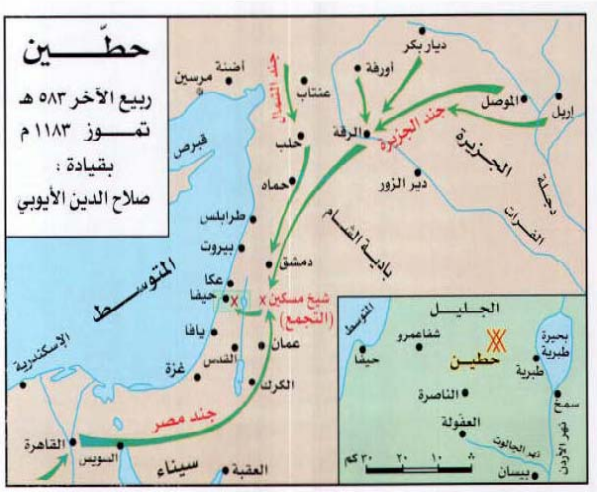

الخريطة رقم (٢)

خريطة توضح معركة حطين

المصدر: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص١٠١.

الهَوامِشُ:

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت. ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ١٤٢/١١، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح، إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ٥/ ٣١٣، ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي(ت.١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت)، ١٧٧/٤.

(٢) حامد غنيم أبو سعيد، **الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية – جبهة الشام وفلسطين ومصر-**، دار السلام، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢١٣-٢١٦

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٢٩٠/١١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٦٣/٥، ابن شداد، أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢/١٢٣٤م) **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٨٧، ص ٤٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٢٩٨/١١-٢٩٩.

(٥) محمود محمد الحويري، **بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين**، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٣٠- ١٣١، سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص ١٥- ١٦.

(٦) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م): **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح: محمد حلمي محمد أحمد، المؤسسة المصرية العامة للنشر، القاهرة، ١٩٦٢، ٣٣٢/١، ابن الأثير، الكامل، ٢٩٩/١١.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ٢٩٩/١١.

(٨) أبو شامة، **الروضتين**، ٣٣٥/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٤٧/٥.

(٩) حامد غنيم، المرجع السابق، ص ٢١٨.

(١٠) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، مج١، ٣٧٦/٢.

(١١) ابن الأثير، **الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٢١- ١٢٢، أبو شامة، **الروضتين**، ٣٣٥/١- ٣٣٧.

(١٢) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٢، ١/ ١٤٩، ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص ١٣٢.

(١٣) ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص ١٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٥٠.

(١٤) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص ٤٥، حامد غنيم، المرجع السابق، ص٢٢٥-٢٢٧

(١٥) ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص ١٤٠، أبو شامة، **الروضتين**، ٣٩٦/١- ٣٩٧.

(١٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥١/٥.

(١٧) ابن الأثير، الكامل، ١٢/ ٣٣٥- ٣٣٦، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ١٦١/١-١٦٢.

(١٨) لم تدم فترة حكم أسد الدين شيركوه في الوزارة الفاطمية سوى خمس وستين يوما، توفي بعدها، فكانت وفاته في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤هـ/ ٢٣ مارس ١١٦٩م، ويذكر المؤرخون أن سبب وفاته هو كثرة تناوله للحوم المدهنة فأصيب بالتخمة والخوانيق، أبو شامة، **الروضتين**، ٤٣٨/١، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ٤/ ٢١١.

(١٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ٥/ ٣٨١، ابن الأثير، **الكامل**، ٣٤٣/١١-٣٤٤، ابن شداد، **النوادر**، ص ٥٠، ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق حسن محمد الشماع، بيروت، ١٩٧٠، مج٤، ١/ ٦٧.

(٢٠) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢٠٠/١، الحويري، المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢١) ابن الفرات، تاريخه، مج٤، ٦٧/١- ٦٨، حامد أبو غنيم، المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٢٢) ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص ١٤٣.

(٢٣) يذكر أبو شامة عن هؤلاء أن عزمهم على إعادة بعث الخلافة الفاطمية، وتيقنهم إلى حد كبير بنجاح المؤامرة كان أن دفعهم إلى تعيين الرجل الذي سيتولى الخلافة فيها، وكذلك الرجل الذي كان سيتولى مقاليد الوزارة، أنظر: **الروضتين**، ٥٦٤/١.

(٢٤) **الشوبك**: بلد صغير، كثير البساتين وغالب ساكنيه النصارى، وهو شرقي الغور، وهو على طرق الشام من جهة الحجاز وينبع من ذيل قلعتها عينان، أحداها على يمين القلعة والأخرى عن يسارها وهي في واد من غربي البلد، وقلعتها مبنية بالحجر الأبيض، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن علي (ت. ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، د ت، ص ٢٤٧.

(٢٥) ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص ١٥٨-١٦١، أبو شامة، **الروضتين**،٥٦٠/١-٥٦٥، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢٢١/١، ابن الفرات، تاريخه، مج٤، ١/ ١٨٤-١٨٥.

(٢٦) ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، ص١٥٨- ١٥٩، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢٢٢/١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٢٢- ٢٣، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **السلوك في معرفة دول الملوك**، تح محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦، ٤٩/١، أبوشامة، **الروضتين**، ٥١٨/١.

(٢٧) ابن شداد، **النوادر**، ص ٥٥.

(٢٨) ابن الأثير، **الكامل**، ٣٨٦/١١- ٣٨٧.

(٢٩) ابن الأثير، **الكامل**، ٤٠٢/١١، الحريري، أحمد بن علي بن أحمد، **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين**، تحقيق، مهدي رزق الله أحمد، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص٣٠، ابن شداد، **النوادر**، ص ٥٦.

(٣٠) يذكر ابن شداد عن وفاة نورالدين فيقول: " كانت وفاته رحمه الله تعالى بسبب خوانيق اعترته، عجز الأطباء عن علاجها، ولقد حكى لي صلاح الدين قال: كان يبلغنا عن نور الدين أنه ربما قصدنا بالديار المصرية، وكان جماعة أصحابنا يشيرون بأن نكاشف ونخالف ونشق عصاه ونلقى عسكره بمصاف يرده إذا تحقق قصده قال: وكنت وحدي أخالفهم وأقول: لا يجوز أن يقال: شيء من ذلك، ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاه رحمه الله تعالى ورضي عنه" انظر، **النوادر السلطانية**، ص٥٦.

(٣١) ابن الأثير، **الكامل**، ٤٠٥/١١.

(٣٢) أبو شامة، **الروضتين**، ٢٣١/١.

(٣٣) محمود محمد الحويري، **بناء الجبهة**، ص ١٦٥، حامد أبو غنيم، المرجع السابق، ٢٤٧.

(٣٤) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٧/٢، أبو شامة، **الروضتين**، ٥٨٩/١.

(٣٥) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢/ ١٦- ١٧، ابن الأثير، **الكامل**، ١١/ ٤١٤.

(٣٦) **الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)**، ترجمة، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ١/ ٣١.

(٣٧) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص ٤١.

(٣٨) بالنسبة للجبهة الإسلامية فقد تحدثنا على أهم العقبات الداخلية التي اعترضت صلاح الدين عن استئناف حركة الجهاد ضد الصليبيين بعزم وجدية، أما على مستوى الجبهة الصليبية فهي الأخرى كانت تعاني من إضرابات، تجلت في انهيار ذلك التحالف الذي كان قائما بين البيزنطيين والصليبيين، كما وأن العلاقات بين الأمراء الصليبيين قد ساءت، خاصة بعد وفاة ملك بيت المقدس عموري (أملريك)، واختلافهم في تولية خليفة له، أنظر: أرنست باركر: **الحروب الصليبية**، دار النهضة العربية، ترجمة، السيد الباز العريني، بيروت، د ت، ص ٨٠ – ٨٢.

(٣٩) ابن شداد، **النوادر**، ص ٦٦، المقريزي، السلوك، ٦٤/١.

(٤٠) بانياس: على طرف الحولة وحدة الجبل، وهي بلدة صغيرة، ذات أشجار محمضات وأنهار، وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميل إلى الجنوب والصبيبة اسم لقلعتها، وهي من الحصون المنيعة، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٩، المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت. ٣٨٨هـ/٩٩٨م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح، ميكال يان دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧٧م، ص ١٦٠، القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) **صبحي الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ١٠٤/٤.

(٤١) ابن الأثير، **الكامل**، ١١/ ٤٥٣، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٧٣/٢.

(٤٢) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٧٥/٢- ٧٧.

(٤٣) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢/ ٨١- ٨٢، ابن الأثير، **الكامل**، ١١/ ٤٥٦- ٤٥٧، الحويري، **بناء الجبهة الإسلامية**، ص ١٨٥.

(٤٤) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٢٧/١١-٥٢٨، حسن حبشي، المصدر السابق، ٣٢/١.

(٤٥) **طبرية**: وهي في الغور على ضفة بحيرة لها طولها إثنا عشر ميلاً وعرضها ستة أميال، والجبل من غربي المدينة والبحيرة من شرقيها والجبال تدور بها وكانت طبرية قديما قاعدة الأردن، أبو الفدا، **تقويم البلدان**، ص ٢٤٧.

(٤٦) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٣١/١١-٥٣٤، الحريري، **الإعلام**، ص ٣٣، حسن حبشي، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٤٧) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٣٤/١١، ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص ٩٧- ١٠٣.

(٤٨) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ١٩٣/٢، ابن الأثير، **الكامل**، ٥٣٧/١١.

(٤٩) الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٢هـ، ص٨٠، أبو شامة، **الروضتين**، ٨٢/٢، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ١٩٣/٢، ابن الأثير، **الكامل**، ٥٣٧/١١-٥٣٨.

(٥٠) أحمد الشامي، **صلاح الدين والصليبيون**، مكتبة النهضة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٣٢.

(٥١) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٠/١١.

(٥٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٣٨/١١.

(٥٣) **عكّا**: مدينة كبيرة من سواحل الشام، وداخلها عينٌ تعرف بعين البقر، وبها مسجد يُنسب إلى صالح عليه السلام وبين عكا وبين طبرية أربعة وعشرون ميلاً، ومنها إلى مدينة صور إثنا عشر ميلاً، استرجعها المسلمون من يدي الإفرنج سنة تسعين وستمائة، أبو الفدا، **تقويم البلدان**، ص ٢٤٣.

(٥٤) **النّاصرة**: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومنها اشتق اسم النصارى، ياقوت، **معجم البلدان**، مج٤، ٣٦٠/٨.

(٥٥) **قيسارية**: بلد على ساحل بحر الشام، تعدُّ من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، كانت قديمًا من أعيان أمهات المدن، واسعة الرقعة، طيبة البقعة، كثيرة الخير والأهل، ياقوت، **معجم البلدان**، مج٤، ١٠٧/٧.

(٥٦) **صفورية**: كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام، وهي قرب طبرية، ياقوت، **معجم البلدان**، مج٣، ١٩٥/٥.

(٥٧) **معليا**: من نواحي الأردن بالشام، ياقوت، **معجم البلدان**، مج٤، ٢٨٨/٨.

(٥٨) **الفولة**: بلدة بقلسطين من نواحي الشام، ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ٤٤٨/٦.

(٥٩) **سبسطية**: مدينة قرب سميساط، محسوبة من أعمالها على أعلى الفرات ذات سور، والمشهور هي بلدة من نواحي فلسطين، بينها وبين بيت المقدس يومان، ياقوت، معجم البلدان، ١٩/٥.

(٦٠) **نابلس**: مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين، مستطيلة لا عرض لها، القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت. ٦٨١هـ/ ١٣٨٢م) **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢٧٧، الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت. ق٤هـ/١٠م): **المسالك والممالك**، تح، محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، مصر، ١٩٦١، ص ٤٤.

(٦١) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٠/١١، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢٠٢/٢-٢٠٣، الحريري، **الإعلام**، ص ٣٥-٣٦

(٦٢) **تبنين**: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور، ياقوت، **معجم البلدان**، مج١، ٤٣١/٢.

(٦٣) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤١/١١، ابن شداد، **النوادر**، ص ١٠٥.

(٦٤) **يافا**: بلدة صغيرة كبيرة الرحاء، ساحلية من الفرض المشهورة، ومدينة يافا كانت حصنا كبيرا فيه أسواق عامرة ووكلاء النجار ومينا كبير فيه مرسى المراكب الواردة إلى فلسطين والمقلعة منها إلى كل بلد، وبينها وبين الرملة ستة أميال وهي في الغرب عن الرملة، أبو الفدا، **تقويم البلدان**، ص ٢٣٩.

(٦٥) **عسقلان**: بلد بها آثار قديمة على جانب البحر بينها وبين غزة إثنا عشر ميلا، وبينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا، وهي من جملة ثغور الإسلام الشامية، وهي من أجل مدن الساحل، أبو الفدا، **تقويم البلدان**، ص ٢٣٩.

(٦٦) **غزة**: بلدة متوسطة في العظم ذات بساتين على ساحل البحر، وبها قليل نخيل وكروم، بينها وبين البحر أكوام رمال، ولها قلعة صغيرة، اختلف في طولها والأقوى أنه ستٌّ وخمسون على ما ذكره صاحب كتاب الأطوال، أبو الفدا، **تقويم البلدان**، ص٢٣٩.

(٦٧) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٢/١١-٥٤٣، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٢٠٦/٢. الحريري، الإعلام، ص ٣٥-٣٦، ابن شداد، **النوادر**، ص ١١٦.

(٦٨) ألبير شاندور: **صلاح الدين – البطل الأنقى في الإسلام**- ترجمة، سعيد أبو الحسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، دمشق، ١٩٨٨، ص ٢٣٠.

(٦٩) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٧/١١، حسن حبشي، المصدر السابق، ٤١/١- ٤٢.

(٧٠) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٨/١١، الحريري، الإعلام، ص ٣٦.

(٧١) ألبير شاندور، المرجع السابق، ص ٢٢٩- ٢٣٢.

(٧٢) هكذا عند ابن الأثير وابن واصل، فدية الطفل من الذكور والإناث ديناريين، **الكامل**، ٥٤٩/١١، **مفرج الكروب**، ٢٣٤/٢، أما ابن شداد، فيذكر أن فدية الطفل دينار واحد، **النوادر**، ص ٨٢، أنظر كذلك: ألبير شاندور، **صلاح الدين**، ص ٢٣٢.